البلاغة في كتاب "صور من حياة التابعين" للدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا

Rhetorical Analysis of Dr. Abdul Rahman Rafat Al-Basha's Book "Sowar Min Hayat Al-Taabi'een"

Hafiz Azfar Khurshid
PhD Scholar, Department of Arabic, University of Punjab, Lahore
Email: azfarkhurshid84@gmail.com
Prof. Dr Hafiz Abdul Qadeer
Department of Arabic, University of Punjab, Lahore
Email: qadeer.arabic@pu.edu.pk
Prof. Dr Hafiz Muhammad Altaf
Department of Arabic, University of Punjab, Lahore
Email: altaf.arabic@pu.edu.pk

Abstruct

This research paper presents an analysis of the rhetorical merits of Dr. Abdul Rahman Rafat Al-Basha's famous book "Sowar Min Hayat Al-Taabi'een". The main objective of the research is to present a literary analysis of the rhetorical styles—expression, semantics, and embellishment—used in the book, as well as to highlight the author's personality and literary contributions.

The research has adopted a narrative and analytical approach, in which excerpts of rhetorical samples have been selected directly from the book and a detailed analysis has been presented.

The results of the research showed that Dr. Abdul Rahman Raafat Al-Basha created a literary masterpiece by presenting historical events in a rhetorical style. The book uses figurative devices (simile, metaphor, and metonymy) to create effective imagery, while semantic techniques (declarative and imperative styles, restriction, conjunction and separation, conciseness, elaboration, and equilibrium) have introduced diversity and effectiveness into the discourse. Furthermore, the use of rhetorical embellishments (both verbal and moral) has endowed the prose with the beauty of poetry.

Keywords: Dr Abdul Rahman Raafat Al-Basha, Sowar Min Hayat Al-Taabi'een, Rhetorical Analysis, Expression, Semantics, Embellishment

المقدمة

يتناول هذا البحث تلك الشخصية الأدبية الفذة التي صنعت لنفسها مكانة فريدة وبارزة في عالم الأدب. لم تمنحه الحياة إلا القليل من الوقت، لكن ما قدمه للأدب الإسلامي في تلك الفترة القصيرة خلّده التاريخ، وسيُعرف عالميًا بأنه رائد الأدب الإسلامي. نقصد بهذه الشخصية شخصية الدكتور عبد الرحمن رأفت الذي ولد سنة 1920م وتوفي سنة 1986م، وقد قسمنا هذا المقال إلى أربعة مباحث، ففي المبحث الأول تناولنا حياته بإيجاز، وفي المبحث الثاني ألقينا الضوء على أعماله الأدبية، أما المبحث الثالث فإنه عبارة عن التعريف بكتابه "صور من حياة التابعين"، وفي المبحث الرابع والأخير لهذا المقال المتواضع قدمنا أمثلة البلاغة المتواجدة في هذا الكتاب، وينبغي لنا أن نعترف في بداية المقال أن كتابنا هذا مفعم بأمثلة البلاغة لأنه قد خرج من يراعة قلم أديب فذ، ولا يمكن لنا أن نحيط بجميعها في مثل هذا المقال الموجز، فنحن نكتفي بذكر بعض منها عاملين بـ: مالا يدرك كله لا يترك كله.

المبحث الأول: حياة الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا

مولده ودراسته

وُلد الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا في قرية صغيرة باسم "أريحا" من مضافات الحلب (السورية) في اليوم الرابع من شهر يونيو سنة 1920م، مات أبوه في صغره، فنشأ وترعرع يتيمًا في كنف جدّه الذي كان خطيبًا ومعلمًا في قرية "أريحا". تلقى عبد الرحمن دراسته الابتدائية عند جدّه الذي اهتم اهتمامًا بالغًا بتعليمه وتربيته.[1]

أخذ الدكتور عبد الرحمن دراسته الرسمية في "أريحا"، وقد فاز على المرتبة الأولى في الابتدائية، ثم توجه إلى مدينة حلب للحصول على الثانوية والتحق بكلية الشريعة الخسروية التي كانت من أقدم مدارس الشريعة في سورية[2]، ثم سافر إلى الأزهر الشريف بمصر للدراسة في كلية أصول الدين، وذلك عام 1943م، وأثناء ذلك التحق الدكتور عبد الرحمن بكلية الآداب في جامعة فؤاد الأول بمصر أيضا، واستمرّ في الدراسة حتى حصل على شهادة العالية من كلية أصول الدين سنة 1945م. وتوقف عن دراسته لأسباب معيّنة عدة سنوات، ثم التحق بجامعة القاهرة في كلية الآداب عام 1965م للحصول على درجة الماجستير، ثم حصل على الدكتوراه من الجامعة نفسها في عام 1967م.[3]

حياته العملية

بعد إكمال الدراسة عاد الدكتور عبد الرحمن إلى وطنه، وبدأ التدريس كمدرس للغة العربية بإحدى مدارس حلب الثانوية، ثم عمل مفتشًا للغة العربية، وفي عام 1955م أصبح رئيسًا لمفتشي

اللغة العربية بدمشق، ثم عمل مديرًا لدار الكتب الظاهرية بدمشق عام 1962م، وفي أثناء ذلك بدأ التدريس في كلية الآداب في جامعة دمشق كأستاذًا محاضرًا. وقد شارك بتأليف الكتب المدرسية في المرحلة الإعدادية والثانوية.[4]

والمرحلة الأخرى لحياته الوظيفية بدأت حين عُين مدرسًا في المعاهد العلمية بالمملكة العربية السعودية، وذلك عام 1964م، فبدأ التدريس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ثم أصبح رئيسًا لقسم البلاغة والنقد، وعضوًا للمجلس العلمي في الجامعة نفسها. ثم صار رئيسًا للجنة البحث والنشر، ورئيسًا لقسم الأدب الإسلامي. وقد شارك في كثير من الندوات والمؤتمرات إما محاضرًا أو مشاركًا أو رئيسًا أو منظمًا.[5]

وفاته

بعد رحلة طويلة قضاها عبد الرحمن في محراب العلم، وافته المنية في مدينة اسطنبول بتركيا وذلك في اليوم الثامن عشر من شهر يوليو سنة 1986م، ودفن في مقبرة الفاتح.[6]

المبحث الثاني: أعماله العلمية والأدبية

كان الدكتور عبد الرحمن من المنافحين عن لغة القرآن، الذين يرون أن نهضة الأمة مرتبطة بهذه اللغة التي أهملها أهلها في هذا العصر إهمالاً يندى له الجبين.

أحس الدكتور عبدالرحمن رأفت بضرورة وجود عمل موسوعي يخدم الأدب الإسلامي، وكانت كلية اللغة العربية بالرياض قد بدأ مشروع كتابة موسوعة أدب الدعوة الإسلامية، وأشرف على ذلك الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا، وقام بإصدار ستة أسفار منها، وذلك من عام 1391هـ إلى عام 1396هـ.[7]

يقول عن ذلك يمان عبد الرحمن –ابنه–:

"وقد قام – رحمه الله – بعمل غير مسبوق، رسم فيه حسب القواعد العلمية الحديثة منهجا إسلاميا متكامل الأركان في الأدب والنقد، وعمل على إرساء قواعده، وتبنت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية هذه الفكرة الرائدة، وأوسعت لها في المحاضرات الجامعية، حتى قيض لمادة منهج الأدب الإسلامي أن تقف على أرض صلبة قوية، وأنشئ على أثرها أول قسم خاص بها في العالم الإسلامي."[8]

وكذلك أسهم الدكتور عبدالرحمن في مشروع تأسيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وقد كانت بعض اللقاءات التمهيدية لإنشائها في منزله بمدينة الرياض عام 1400هـ، الموافق 1980م، وتم بعد ذلك تكوين هيئة تأسيسية لهذه الرابطة برئاسة سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي[9] في مدينة لكنو

بالهند، وذلك في شهر جمادى الآخرة عام 1401هـ، الموافق 1981م حيث دعي إلى هذه الندوة عدد كبير من رجالات العالم الإسلامي المهتمين بالأدب، واختير الدكتور عبد الرحمن نائبًا لرئيس الرابطة، ورئيسًا لمكتب البلاد العربية.[10]

يُعدّ الدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا من أولئك النقاد المثقفين الملتزمين الذين أسّسوا المنهج النقدي الإسلامي، إنه اعتنى بالأدب إبداعاً ونقداً عناية كبرى، فكان –رحمه الله– من الرواد الذين عملوا في مجال الأدب الإسلامي. ومن أهم تأليفاته في مجال الأدب والنقد: "نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد". [11]

كان الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا فارس ميدان التأليف والكتابة، ترك خلفه إرثًا أدبيًا عظيمًا، ومن أهم إنتاجاته الأدبية:

"صور من حياة الصحابة"، و"صور من حياة الصحابيات"، و"صور من حياة التابعين"، و"البطولة"، و"أرض البطولات"، و"حدث في رمضان"، و"الدين القيم"، و"نحو مذهب إسلامي"، و"الطريق إلى الأندلس: لمحات وقطوف"، و"لغة المستقبل"، و"فن الدراسة"، و"العدوان على العربية عدوان الإسلام"، و"فن الامتحانات"، و"شعر الدعوة في العصر النبوي".[12]

وكل من يلقى نظرة على عناوين هذه الكتب يدرك أنها لا تتعلق بموضوع واحد، بل هي متنوعة الموضوعات إلا أن أهدافها هي: الغيرة على تراث الأمجاد، وبعث البطولة، وتربية الناشئين، والربط بالقيم الإسلامية.

المبحث الثالث: التعريف بكتابه "صور من حياة التابعين"

هو كتاب شقيق لكتابه الأول "صور من حياة الصحابة" روحًا ونفسًا، يحتوي هذا الكتاب على ملخصٍ لصورٍ من حياة سبعة وثلاثين تابعيًا،كُتب على غلافه: للفتيان والفتيات. تلقاه القراء بقبول حسن، وخير دليل على ذلك أنه قد طُبع هذا الكتاب خمس عشرة مرة، كما أنه ترجم إلى عدة لغات أيضًا.

قد بلغ عدد صفحاته 508 صفحة من القطع المتوسط. يبدأ هذا الكتاب بمقدمة المؤلف بخط يده وتليها مقدمة الناشر، ونهج المؤلف في الكتاب نفس المنهج الذي نهج في كتابيه "صور من حياة الصحابة"، و"صور من حياة الصحابيات"، إنه وضع تحت اسم كل تابعي عبارة قالها فيه صحابي سبقه، أو تابعي عاصره، أو مقولة قالها المؤرخون عنه. وإضافة إلى ذلك ذكر في نهاية حديثه عن كل تابعي هامشًا كتب فيه أهم كتب التراجم – التي أخذ منها المواد المتعلقة بتلك الشخصية– وذلك تسهيلا لمن أراد الاستزادة من أخبار ذلك التابعي.[13]

أسلوب الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا في هذا الكتاب

استخدم الدكتور عبد الرحمن في هذا الكتاب لغة سهلة وابتعد عن الألفاظ الغريبة والصعبة، والحوشية، والتصنع أو التكلف، إنه حاول فيه أن يرسم صور التابعين بأدوات تساعد على جلاء الصورة وإبانتها، فاعتمد على الصور البيانية: كالتشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز، كما اعتمد على الإنشاء والخبر، والتقديم والتأخير، والوصل والفصل، والذكر والحذف وغير ذلك من وسائل تجلي المعنى، وتقدمه في هالة من الجمال والإمتاع.

وكذلك استخدم الدكتور عبد الرحمن بعض المحسنات اللفظية لتزيين أسلوبه حيث يتميز أسلوبه بحسن الاستهلال، وخواتيم الموضوعات، والابتعاد عن التفاصيل المملة، والإيجاز، وبارعة المقطع، وحسن الانتقال من خاطر إلى خاطرة أخرى.

المبحث الرابع: البلاغة في "صور من حياة التابعين"

هذا الكتاب زاخرٌ بالصور البيانية، والصور المعانية، والصور البديعية، فنحن فيما يلي من الصفحات نتناول كل واحدة منها على حدة، وبذلك نحاول أن نوضح الأسلوب البلاغي لنثر الدكتور عبد الرحمن.

الصور البيانية

نناقش في السطور التالية أهم مباحث علم البيان مع ذكر بعض الأمثلة المأخوذة من هذا الكتاب وتحليلها العلمي.

التشبيه

المثال:" فلا يكاد جند المسلمين يسمعون نداءه، حتى يهبّوا إلى قتال عدوّهم كما تهبّ الأسود المستنفرة."[14]

نجد التشبيه في هذا المثال؛ لأن المقارنة جاءت بين شيئين في صفة الشجاعة. فشبّه جند المسلمين بالأسود المستنفرة التي تهبّ على الصيد، فالمشبه في هذا المثال "جند المسلمين" والمشبه به "الأسود المستنفرة، وأداة التشبيه "الكاف"، ووجه الشبه محذوف وهو "الشجاعة والجرأة". نلاحظ في هذا المثال أن المشبه والمشبه به كلاهما حسيّان ويدركان بإحدى الحواس، فالتشبيه هنا تشبيه المحسوس بالمحسوس.

المثال:"ولقد كان منزل سلمة بن دينار[15] موردًا عذبًا لطلاب العلم، ورُغّاب الصّلاح، لا فرق في ذلك بين إخوانه و طلّابه..." [16]

شبّه في هذه العبارة منزل سلمة بن دينار بمورد عذب، كما أن العين العذبة مصدر ماءٍ حيٍّ للظمآنين، يروي ظمأهم وينعشهم، فكذلك كان بيت سلمة بن دينار مصدرًا للسكينة، والهداية، والبركة، والطهارة والعلم لطالبي العلم والخير، هذا التشبيه مؤثر للغاية، ويصف بشكل جميل الأهمية الروحية والفكرية لبيت سلمة بن دينار.

فالمشبه في هذا المثال " منزل سلمة بن دينار، والمشبه به "مورد عذب" وحذفت أداة التشبيه "الكاف"، والأصل هو "ولقد كان منزل سلمة بن دينار كالمورد العذب"، لم تُذكر فيه أداة التشبيه، وذلك لتأكيد أن المشبه عين المشبه به، فهذا التشبيه التشبيه المؤكد. وهو أيضًا التشبيه البليغ لأن أداة التشبيه ووجه الشبه محذوفتان فيه.

الاستعارة

المثال:"وحبا المسلمين مصباحا منيرا؛ مازالوا حتى اليوم يستضيئون بسنَا فقهه لشرع الله."[17]

نلاحظ الاستعارة في هذه العبارة لأن اللفظين "مصباحًا منيرًا" استعملا فيها في غير ما وضع لهما وعلاقتهما علاقة المشابهه، لايقصد بهما إلا المعرفة والحكمة والهداية مثل؛ مصباح الإضاءة، أي شيء يجلب النور إلى الظلام ويدل الإنسان على الطريق المستقيم.حذف هنا المشبه وهو التابعي الجليل شريح القاضيّ واستعير بدله له المشبه به، لأن المشبه به هو عين المشبه، ويسمى هذا المجاز بالاستعارة لأن المشبه به مصرح به في هذا المجاز.

المجاز

المثال:"هكذا مدّ جند المسلمين أيديهم إلى القائد العظيم ينشدون عنده النّجاة...ويبايعونه على السّمع والطاعة." [18]

نجد في العبارة المذكورة المجاز المرسل لأن كلمة "يد" قد أُستخدمت فيها في غير معناها الأصلي وعلاقتها غير المشابه، إن اليد هنا سبب للعهد والبيعة ولكن المراد من اليد صاحب اليد فالعلاقة هنا سببية.

الكناية

المثال: "ذلك أن زوجها عبيد الله بن جحش[19] قد ارتدّ عن دينه وتنصّر، وجعل يهزأ بالإسلام والمسلمين. ثم أكبّ على حانات الخمّارين يعاقر أمّ الخبائث فلا يرتوي منها ولا يشبع."[20]

فأم الخبائث في هذه العبارة كناية عن الخمر لأن صفتها قد ذكرت في الكلام وأريد بها موصوفًا معينًا وهي تختص بالمكنى عنه. وقد دعيت بأم الخبائث لأنها تقود شاربها إلى ضروب من الشر.

المثال:"ولقد ظهرت على الغلام المزنيّ علائم النجابة وأمارات الذكاء منذ نعومة أظفاره."[21]

في هذه العبارة "منذ نعومة أظفاره "كناية عن صغر السّن، ونرى في هذه الكناية أن الوسائط جاءت قليلة لتفهيم المعنى المراد، فهذا مثال الرمز.

الصور المعانية

باب علم المعاني كبير، يصعب على هذا البحث القصير إحاطة مباحثه إلا أننا نكتفي بأهم مباحثه مع ذكر بعض الأمثلة من هذا الكتاب وتحليلها العلمي.

الخبر

المثال:"فقال لهم الملك: بئس القوم أنتم...لقد قتلتم أباه بالأمس، وتطلبون منّي أن أقتله اليوم والله لا أفعل." [22]

لم يعلم ملك الحبشة (الجديد) أن رعيته قد قتلوا والد النجاشي–الملك السابق للحبشة–، والآن يريدون منه أن يأمر بقتل النجاشي.كان هذا الخبر جديدًا عليه. فجاء الكلام هنا ليفيد غرض فائدة الخبر ويحمل خبرًا جديدًا.

الإنشاء

المثال:"اللهم اجعل لي في الاطمئنان إلى جودك، والرضا بضمانك مندوحة عن منع الباخلين، وغنًى عمّا في أيدي المستأثرين."[23]

ذُكر الأمر "اجعل" في المثال المذكور، كما نعلم أن الأمر من أحد أقسام الإنشاء الطلبي، ولكن الأمر في هذا المثال قد خرج عن معناه الأصلي وهو الطلب إلى سبيل الدعاء والتضرّع.

الذكر والحذف

المثال:"أن أوّل لواء عُقد في الإسلام كان لرجل منكم، هو عبد الله بن جحش[24]." [25]

هذا المثال من دواعي الذكر، نرى أن العبارة "كان لرجل منكم" في المثال المذكور زائدة جاءت لتعظيم قبيلة بني أسد.

المثال:"أعينوني على حمله إلى المسجد جُزيتم خيرًا." [26]

هذا المثال من دواعي الحذف، نرى أن لفظ الجلالة (الله) قد حذف في "جُزيتم خيرًا" للأدب.

التقديم والتأخير

المثال: "فقال أتريد أن أجمع لك صَفوَةَ[27] ما في التوراة، والزّبور، والإنجيل، والقرآن." [28]

نجد في المثال المذكور الترتيب الزمني الذي يبيّن التقديم والتأخير. إن جميع الكتب السماوية قد ذُكرت حسب الترتيب الزمني. فقدّم التوراة على الزّبور، والإنجيل على القرآن.

التعريف والتنكير

المثال: "كان الأسود العنسيُّ[29] رجلًا شديد المِرّة، قويّ البُنية، أسود النّفس، مستطير الشّرّ."[30]

نجد في المثال المذكور العَلم "الأسود العنسيُّ"، وهو من أحد أقسام التعريف. وجاء العَلم في هذه العبارة للتحقير.

المثال:"وقال له: لقد اجتمع لديَّ مالٌ كثيرٌ لأيتام لا كافل لهم." [31]

نجد في المثال المذكور النكرة "كثيرٌ "، فجاء النكرة هنا للتكثير.

الإطلاق والتقييد

المثال:"لو كنت أستطيع أن آتي محمدًا عليه الصلاة والسلام لذهبتُ إليه، وجلست بين يديه، وتمرّغت على قدميه." [32]

المثال المذكور للتقييد لأن الجملة لم تقتصر على ذكر المسند والمسند إليه، بل أضافت شيئا يتعلق بالشرط "لو"، فالحكم هنا مقيد.

القصر

المثال:"يا معشر المسلمين... لا يُفتي الناس في هذا المقام إلّا عطاء بن أبي رباح[33]."[34]

هذا مثال القصر حيث خصص الشيء بالشيء آخر، فخصص الفتاوى في هذا المثال بعطاء بن أبي رباح. فما قبل "إلّا" يسمى مقصورًا، وما بعدها وهو "عطاء بن أبي رباح" يسمى مقصورًا عليه، و"لا وإلّا" طريق القصر.

الوصل والفصل

المثال: "فاشتدّ عليهم الكرب، وضاق في وجوههم الأمر."[35]

المثال المذكور هو موضع الوصل، لأن فيه اتحاد تام بين الجملتين، فالجملة الأولى "فاشتدّ عليهم الكرب" والجملة الثانية "وضاق في وجوههم الأمر"كلاهما الخبرية، فيجب الوصل هنا؛ لأنه إذا اتفقت الجملتان خبرًا وإنشاء وكان بينهما اتحاد تام فالوصل واجب.

المثال: " فبكى عمر[36] بكاء شديدًا خشيت معه أن تنشقّ مرارته[37]." [38]

المثال المذكور هو موضع الوصل، لأن فيه اتحاد تام بين الجملتين، فالجملة الأولى "فبكى عمر بكاء شديدًا " والجملة الثانية "وضاق في وجوههم الأمر" كلاهما الخبرية، والجملة الثانية تاكيد للجملة الثانية، فيجب الوصل هنا؛ لأنه إذا اتفقت الجملتان خبرًا وإنشاء، وتكون الجملة الثانية بيانًا للجملة الأولى، فالفصل واجب.

الإيجاز

المثال:"ولقد كان عامر[39] من أولئك المجاهدين الذين يكثرون عند الفزع، ويقلّون عند الطّمع."[40]

نرى الإيجاز في "يكثرون عند الفزع، ويقلّون عند الطّمع"؛ لأن هذه العبارة تحمل معان كثيرة والمراد بها يظهرون بكثرة عند الاستعداد والمساعدة عندما يكون هناك خوف أو ذعر أو أزمة مثل كارثة أو حرب أو خطر عام، ويختفون أو يتناقص عددهم عندما يكون هناك منفعة أو مغنم أو فرصة للكسب مثل تقسيم غنيمة أو مكاسب مادية. فهذا العبارة تدل على إيجاز القصر لأن الألفاظ القليلة تعبر عن المعاني الكثيرة.

الإطناب

المثال:"فقال النجاشي[41]: والله ما خرج عيسى عمّا قلت قيد أُنمُلةٍ [42]."[43]

جاء الإطناب في هذا المثال، وهو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة،نرى أن الكلمتين" قيد أُنمُلةٍ " زائدتان في هذا المثال وجاءتا لتأكيد الكلام.

المساواة

المثال: "دعا النجاشي الصحابة إلى لقاء بني قومهم عنده." [44]

نجد في المثال المذكور أن الألفاظ مساوية للمعاني، والمعاني مساوية للألفاظ، لا يزيد ولا ينقص، وتفهم المعاني من الكلمات لدى أوساط النّاس. فهذا مثال المساواة.

الصور البديعية: نقدم في السطور التالية بعض الجوانب البديعية المتواجدة في هذا الكتاب، والتي تتضمن المحسّنات المعنوية واللفطية.

التورية

المثال:"ولقد أقبلت الدنيا على عطاء بن رباح فأعرض عنها أشد الإعراض." [45]

نرى أن كلمة "الدنيا" التي ذكرت في هذه العبارة لها معنان: أحدهما الدنيا التي تضاد الآخرة وهو المعنى القريب، والثاني معناه؛ المال، والمتاع، والملكية، والطمع للحصول على المال والأشياء، وهذا هو المعنى البعيد، ويراد هنا المعنى البعيد. فهذا مثال التورية حيث ذكر اللفظ وأُخذ منه المعنى البعيد.

الطباق

المثال:"وإذا سمعتم الرجل يرفع من شأن نفسه فيقول: إنّني أحبّ في الله، وأكره في الله، وأُفضّل كذا مرضاةً لله، وأُعرض عن كذا خوفًا من الله، فلا تعتدوا به." [46]

نجد في هذا المثال طباق الإيجاب؛ فقد جُمع في هذا المثال شيء وضدّه مثل؛ أحبّ:وأكره ، وأُفضّل: وأُعرض.

المقابلة

المثال:"وهي صورة للمجتمع الإسلامي الجادّ الذي يعمل لدُنياه كأنه يعيش أبدًا، ويعمل لأُخراه كأنه يموت غدًا." (47)

جاءت المقابلة في المثال المذكور؛ لأنه جاء الكلام في الجملة الأولى، ثم جاء ما يقابله بمثله في المعنى واللفظ على جهة المخالفة في الجملة الثانية.

أسلوب الحكيم

المثال:"وقال: هيَّا... أين المال حتى أضُمّ إليه ما معي؟ فقالت: لقد وضعته حيث يجب أن يُوضع وسأخرجه لك بعد أيّام قليلة إن شاء الله." (48)

عندما عاد فرُّوخ، والد ربيعة الرأي من رحلته بعد ثلاثين عامًا، سأل أم ربيعة عن المال الذي تركه لها كأمانة، ولكن زوجته قد أنفقته على تعليم ابنهما. وعندما سُئلت عن المال، بدلًا من أن تُلقيه عليه، قالت: "وضعته في مكانه المناسب، وسترى بعد أيام إن شاء الله أي سترى ولده أصبح عالما، ومحدثًا، وفقيهًا وإمامًا في المدينة".

السجع

المثال الأول: "كانت أمّه تنام في الليل ثم تصحو، فتجد ابنها اليافع[49] ما زال صافًّا في محرابه، سابحًا في مناجاته، مستغرقا في صلاته." (50)

المثال الثاني: "والتفّوا حوله يصيخون إلى مواعظه التي تستلين القلوب القاسية، وتستدرّ الدّموع العاصية."(51)

عندما نلقي نظرة على المثالين السابقين نجد "مناجاته، وصلاته" في المثال الأول و"القاسية والعاصية" في المثال الثاني، من قبيل السجع.

الاقتباس

المثال:"وقال: أخبرني ما يغني عنّي هؤلاء إذا أُخذنا غدًا بالنّواصي والأقدام[52] ؟!... وما ينفعونني إذا أُلقيت في النار؟!" (53)تشتمل العبارة السابقة على الكلمات القرآنية "بالنّواصي والأقدام" وهي مقتبسة من سورة الرحمن: **{يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْاَقْدَامِ}**[54].

التلميح

المثال:"والله إن هذا الحق، وجميع ما ملكته ملوك فارس لا يعدل عندي قُلامة ظُفر..."(55)

نجد الكلام "قُلامةظُفر" في هذا المثال يدّل على التلميح لأن هذا الكلام يشير إلى مثل سائر يضرب في الشيء الحقير.

الجناس

المثال:"أجاب قائلًا: أصبحت قريبًا أجلي...بعيدًا أملي...سيّئًا عملي..." (56)

نجد في العبارة المذكورة أن الاختلاف جاء بأنواع الحروف في الكلمات الأخيرة "أجلي، وأملي، وعملي"، فهذا مثال الجناس التام حيث اتّفق اللفظان في أمور الأربعة: نوع الحروف، وعددها، وشكلها، وترتيبها مع اختلاف المعنى.

ملخص البحث

بعد دراسة حياة الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا وإسهاماته في التدوين والتأليف، توصلنا إلى أنه كان كاتبًا فذًا، ومؤرخًا بارعًا، ومفكرًا عظيمًا، حمل هموم الأمة وسعى لإحياء نهضتها، ووقف حياته كلها في خدمة لغة القرآن الكريم.

يقدم هذا البحث تحليلًا بلاغيًا للكتاب الشهير الموسوم "صور من حياة التابعين" الذي ألفه الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا، والهدف الرئيسي للبحث هو تقديم تحليل للأساليب البلاغية المستخدمة في هذا الكتاب، بالإضافة إلى إبراز شخصية المؤلف وإسهاماته الأدبية.

إن الدكتور عبد الرحمن قد أبدع تحفة أدبية عبر عرضه للأحداث التاريخية بأسلوب بلاغي. إنه إستخدم الصور البيانية مثل التشبيه، والاستعارة، والمجاز، والكناية لخلق صور مؤثرة، في حين أن الصور المعانية من الخبر والإنشاء، والقصر، والوصل والفصل، والإيجاز، والإطناب، والمساواة وغيرها قد أحدثت تنوعًا وتأثيرًا في الكلام. كما أن استخدام الصور البديعية من المحسّنات اللفظية والمعنوية قد منح النثر جمال الشعر.

الهوامش

(1) يمان، رعد (زوجة الباشا) ." عبد الرحمن رأفت الباشا أوراق عن حياته ووفاته". مجلة مرآة الجامعة. (ع71، 18يناير 1407هـ).ص7.

(2) كانت في بداية أمرها مدرسة ثم صارت كلية.

(3) المرعشلي، يوسف، نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، لبنان، دار المعرفة، 2006م، ط1، ج1، ص 1912.

(4) باطلة، نزار والمالح، محمد رياض، إتمام الأعلام، دار الصادر،لبنان، 1999م، ج 1، ص 149.

(5) مزنة، البهلال، عبدالرحمن رأفت الباشا ناثرا، (رسالة الماجستير، جامعة الإمام محمد بنسعودالإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2009م) .ص8-11.

(6) المرعشلي، يوسف، نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، ص 1913.

(7) مزنة، البهلال، عبدالرحمن رأفت الباشا ناثرا، ص9.

(8) يمان، عبد الرحمن الباشا."سيرة ذاتية أدبية علمية". مجلة الأدب الإسلامي. (ع 74، جمادى الأولى رجب1433هـ) ص 10.

(9) هو أبو الحسن، علي بن محمد بن حسين بن علي الحسني الندوي، مفكر وأديب إسلامي هندي الأصل، أحد أبرز مؤسسي رابطة العالم الإسلامي، وصاحب مؤلفات عديدة أبرزها "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين.انظر للتفصيل: المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، ص 31-36.

(10) أبو صالح، عبد القدوس."الدكتور الباشا كما عرفته". مجلة الأدب الإسلامي. ص 15-16.

(11) الباشا، عبدالرحمن، نحو مذهب الإسلامي في الأدب والنقد، تقديم: أبو الحسن الندوي، دار الأدب الإسلامي، الرياض، 1998م، ط4.

(12) نفس المصنف، صور من حياة التابعين: طبعة مزيدة ومُنقحة، المكتبة المعرفية، باكستان،2014م، ط4، ص509-512.

(13)نفس المصنف، صور من حياة التابعين، دار الأدب الإسلامي، القاهرة، 1998م، ط5

(14) نفس المرجع، ص231.

(15) سلمة بن دينار، المعروف بأبي حازم الأعرج (توفي سنة ١٤٠ هـ)، من كبار الصحابة، ومن عباد المدينة المنورة وفقهائها. روى عن أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب، وغيرهما. واشتهر بالورع والزهد وكراهية الدنيا. (ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ج 5، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990 م، ص421-422.)

(16) الباشا، عبدالرحمن رأفت، صور من حياة التابعين، ص192.

(17) نفس المرجع، ص123.

(18) نفس المرجع، ص395.

(19) عبيد الله بن جحش زوج رملة بنت أبي سفيان.

(20) الباشا، عبدالرحمن رأفت الباشا، صور من حياة التابعين، ص437.

(21) نفس المرجع، ص69.

(22) نفس المرجع، ص205.

(23) نفس المرجع، ص287.

(24) عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي (قبل الهجرة – 3هـ)، صحابي جليل، ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم (أميمة بنت عبد المطلب)، وأخو زينب بنت جحش زوجة النبي. هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وشهد غزوة بدر، واستشهد في غزوة أحد، وكان أول أمير في الإسلام حيث بعثه النبي صلى الله عليه وسلم على سرية إلى نخلة. (ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ج 5، دار الكتب العلمية، 1415 هـ / 1994 م، ص 95-96.)

(25) الباشا، عبدالرحمن رأفت الباشا، صور من حياة التابعين، ص175.

(26) نفس المرجع، ص 59.

(27) صفوة الشيء: خلاصته وأعمقه وأثمنه.

(28) الباشا، عبدالرحمن رأفت الباشا، صور من حياة التابعين، ص298.

(29) الأسود بن كعب العنسي (توفي عام 11 هـ)، وهو مدعي النبوة في اليمن في نهاية العصر النبوي، امتدت فتنته إلى صنعاء وما حولها، وقُتل على يد فيروز الديلمي ومعاونوه في دار الطويلعة ، وكان هذا أول ادعاء النبوة للإسلام. (ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج 9، دار هجر، 1418 هـ / 1997 م، ص 425.)

(30) الباشا، عبدالرحمن رأفت الباشا، صور من حياة التابعين، ص 354.

(31) نفس المرجع، ص 77.

(32) نفس المرجع، ص436.

(33) عطاء بن أبي رباح أسلم مولى قريش (27-114 هـ)، كان الفقيه ومفتي مكة، إمام المسجد الحرام، من أعلم أهل عصره بمناسك الحج. وقد تتلمذ على يد العديد من الصحابة، مثل عبد الله بن عباس وعائشة بنت أبي بكر، وروى عنه أئمة مثل ابن جريج وسفيان الثوري. واشتهر بالورع والتقى. (ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ج 2، دار الكتب العلمية، 1990 م، ص 94-95.)

(34) الباشا، عبدالرحمن رأفت الباشا، صور من حياة التابعين، ص 11.

(35) نفس المرجع، ص 423.

(36) عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي القرشي (61-101 هـ)، خليفة أموي، تولى الخلافة سنة 99 هـ، اشتهر بعدله وإصلاحاته وزهده، حتى عدّه العلماء خامس الخلفاء الراشدين. (الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ج 5، مؤسسة الرسالة، 1985 م، ص 114-116.)

(37) مرارته: جوف كبده

(38) الباشا، عبدالرحمن رأفت الباشا، صور من حياة التابعين، ص258.

(39) عامر بن عبد الله بن عبد قيس التميمي (تُوفي نحو 121 هـ)، تابعي ثقة، من رواة الحديث، روى عن الصحابي أنس بن مالك رضي الله عنه، وروى عنه سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج وغيرهما، من أهل الكوفة. (ابن حِبّان، محمد، كتاب الثقات، تحقيق: شرف الدين أحمد، ج 5، دار الفكر، 1395 هـ / 1975 م، ص 425-427.)

(40) الباشا، عبدالرحمن رأفت الباشا، صور من حياة التابعين، ص29.

(41) النّجاشي: اسمه أصحمة والنجاشي لقب له ولملوك الحبشة، مثل كسرى: لملك الفرس، وقيصر: لملك الروم.

(42) قيد أنملة: مقدار رأس الإصبع.

(43) الباشا، عبدالرحمن رأفت الباشا، صور من حياة التابعين، ص432

(44) نفس المرجع، ص427.

(45) نفس المرجع، ص17.

(46)نفس المرجع، ص451.

(47) نفس المرجع، ص127.

(48) نفس المرجع، ص149.

(49) اليافع: من قارب البلوغ.

(50) الباشا، عبدالرحمن رأفت الباشا، صور من حياة التابعين، ص60.

(51) نفس المرجع، ص100.

(52) أخذنا غدًا بالنّواصي والأقدام: جُرِرنا يوم القيامة من رؤوسنا وأرجلنا.

(53) الباشا، عبدالرحمن رأفت الباشا، صور من حياة التابعين، ص253.

(54) القرآن، [سورة الرحمن: 41].

(55)الباشا، عبدالرحمن رأفت الباشا، صور من حياة التابعين، ص30

(56) نفس المرجع، ص253.